

النقد الأدبي في مقامات الحريري

محمد بن عبد الرحمن الهادي

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب
جامعة الملك سعود - الرياض



لقد حفلت مقامات الحريري بالكثير من الموضوعات الاجتماعية واللغوية والأدبية ، وقد لقيت هذه المقامات من عناية الدارسين والشارحين ما لم يلقه إلا القليل من المؤلفات الأدبية ، وقد حظى الحريري نفسه بحظ وافر من الشهرة إبان حياته وبعد موته ، حتى لقد أصبح اسمه مقرونا بالمقامات ، وأصبحت المقامات مقرونة باسمه على الرغم من أنه قد ألف غير المقامات ، وأن غيره من الأدباء قد ألفوا مقامات كثيرة .

لن نتحدث في هذا البحث عن المقامات من ناحية تركيبها اللغوي أو الفني ، ولا من ناحية تصويرها للمجتمع الذي ألفت فيه ، وإنما سنقصر حديثنا على ما تضمنته من آراء نقدية في بعض الموضوعات الأدبية ، والآراء النقدية التي ضمنها الحريري مقاماته يجربها - كما سترى - على ألسنة إناس كثيرين من أشهرهم بطلها أبو زيد السروجي ، وابنه ، وقاضي البلدة التي وقعت فيها حوادث المقامة ، ووالها ، والحريري بتضمينه مقاماته شيئاً من النقد الأدبي كان يرسم خطى سلفه بديع الزمان الهمذاني ، فلقد أدار البديع بعض مقاماته حول موضوعات نقدية . ففي المقامة « الجاحظية » مثلاً نجد البديع ينقد أبا عثمان الجاحظ لأنه قصر في مجال نظم الشعر ، ولأن أسلوبه النثري جاء خالياً من المحسنات البديعية والأغراض البيانية .

هذا ويلاحظ دارس مقامات الحريري أن الآراء النقدية التي يوردها مؤلفها إنما هي في أغلب حالاتها - مجرد ملاحظات بسيطة لا ترقى إلى مصاف الدراسات النقدية المتخصصة التي نجدها عند بعض النقاد الذين عاصروه أو حتى أولئك الذين عاشوا قبله ، وقد يرى البعض عذراً للحريري في هذا التقصير ، لأن الرجل لم يكن يؤلف كتاباً مفرداً للنقد الأدبي ، وإنما استخدم النقد موضوعاً من الموضوعات الأخرى التي أراد بها خدمة الهدف الأساسي الذي أنشأ المقامات من أجله وهو تقريب اللغة إلى المتعلمين ، وتصوير طائفة المكدين التي اشتهرت في عصره . فالنقد الأدبي إذاً لم يكن مقصوداً في حد ذاته وإنما استخدم وسيلة لا غاية .

الموضوعات النقدية التي طرقها الحريري

قضية القديم والحديث :

لقد شغلت هذه القضية اللغويين والنقاد والأدباء طويلا ، فقد وجد من اللغويين من كان - بحكم تخصصه وطبيعة ميوله - يتعصب للشعر القديم كل التعصب ويرى أنه الشعر الأصيل الذي يثبت على المحك ، وأما شعر المحدثين فيرى أنه متأخر عنه كثيرا . بل إن من هؤلاء اللغويين من كان يرى أن الشعر المحدث لا قيمة له إطلاقا ، وقد سجل لنا تاريخ الأدب أقوالا لأبي عمرو بن العلاء ^(٢) ، والأصمعي ^(٣) ، وابن الأعرابي ^(٤) تنطق بالتعصب على الشعر المحدث ، وفي مقابل هؤلاء اللغويين المتعصبين للقديم وجد أدباء ونقاد طالبوا بأن يكون مقياس المفاضلة بين الشعراء هو الجودة وليس العصر الذي عاش فيه الشاعر ويأتي في مقدمة هؤلاء المنصفين المبرد ^(٥) وابن قتيبة ^(٦) والقاضي الجرجاني ^(٧) ، وبجانب هؤلاء وأولئك وجدت طائفة ثالثة من الأدباء والنقاد تعصبت للشعر المحدث ، وأخذت على عاتقها مهمة الدفاع عنه ويأتي في مقدمة هؤلاء أبو بكر الصولي ممثلا في دفاعه عن أبي تمام ^(٨) .

ونحن إذا جئنا لنبحث عن رأى الحريري في القديم والحديث سواء أكان شعرا أم نثرا فإننا سنجد أن الرجل يطالعا برأين بينهما شيء من التعارض ، فنحن أولا نراه في مقدمته للمقامات ينص على ركود ريج الأدب في عهده ، وعلى خبو مصايحه ^(٩) ، ثم ينتقل إلى ذكر السبب الذي دعاه إلى إنشاء مقاماته وهو أن شخصية كبيرة

طلبت منه أن يؤلف مقامات يحذو فيها حذو البديع ، وفي هذا الموطن يعترف الحريري بتفوق سلفه البديع عليه : « فأشار في إشارته حكم وطاعته غنم إلّى أن أنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع ، وإن لم يدرك الظالع شأو الظليع » ^(١٠) . فالحريري هنا يشبه نفسه بالفرس الأعرج ويشبه البديع بالفرس العتيق ، وفي موضع آخر من المقدمة يتواضع الحريري كثيرا فيصف قريحته بالجمود ، وفطنته بالخمول ، ورويته بالنضوب ^(١١) ، ثم يعود إلى ذكر البديع فيعترف مرة أخرى بتقدمه عليه في فن المقامات ، وبأن كل مؤلف في هذا الفن إنما يستضيء بنوره مما خلفه :

وهذا مع اعترافي بأن البديع رحمة الله سياق غايات ، وصاحب آيات ، وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامه ، ولو أوتي بلاغة قدامة . لا يغترف إلا من نضالته ، ولا يسري ذلك المسرى إلّا بدلالته ، والله در القائل :

فلو قبل مبكاها بكيث صباية

بسعدي شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكيث قبلي فهيح لي البكا

بكاهها فقلت الفضل للمتقدم ^(١٢)

من هذا الذي أوردناه يبدو الحريري - لأول

وهلة - في صورة المعترف بفضل القديم على المحدث ممثلا في اعترافه بتفوق البديع عليه ، وفي إشارته إلى ركود ريج الأدب في عهده وإلى خبو مصايحه بالمقارنة مع العصور التي سبقتة ، ولكن ينبغي لنا أن لا نذهب بعيدا في هذا الظن ، وأن لا ننخدع بهذا التواضع الذي صدر عن الحريري عندما كان يتحدث عن نفسه بضمير التكلم .



الطل قد يسبق المطر الغزير ولكن الفضل للوابل لا للطل . فالحريري كما تشير هذه الأبيات لا يعطي أهمية لتقدم الزمن ، وإنما هو يعطي الأهمية للجودة بدليل أن السروجي - وهو المتأخر زمانا - قد فضل بيانه هو على بيان الإسكندري وهو المتقدم ، ولكن الحريري لم يشأ أن يعلن هذا الذي يعتقده بلسانه هو لئلا ينسب إلى سوء الأدب مع البديع لذا فإنه قد آثر الاختفاء وراء بطل مقاماته ، وليس هذا الذي قلناه عن اعتقاده بتفوق المحدثين على القدماء بالشيء الذي نتمحله تمحلاً ، أو نحاول توجيه نص من النصوص الوجهة التي نريدها لكي يساعدنا على إثباته وإنما هو أمر قد نص عليه الحريري صراحة في المقامة المراغية حيث يقول :

« روى الحارث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وقد جرى به ذكر البلاغة ، فأجمع من حضر من فرسان البراعة ، وأرباب البراعة على أنه لم يبق من ينقح الإنشاء ، ويتصرف فيه كيف يشاء ، ولا خلف بعد السلف من يبتدع طريقة غراء أو يفترع رسالة عذراء ، وإن المغلق من كتاب هذا الأوان ، المتمكن من أزمة البيان ، كالعيال على الأوائل ، ولو ملك فصاحة سحيان وائل » (١٥) .

وفي هذا النص نرى إجماعاً من الكتّاب الذين حضروا ديوان النظر بالمراغة على تراجع فن الكتابة عند المحدثين ، وعلى عجزهم عن الابتداع في الإنشاء ، واحتياج أكثرهم براعة إلى النظر في كتابات المتقدمين من أجل أن يستمد منها مادة لكتابه . ولكن الحريري - كما سنرى في الجزء

فلسنا نعتقد أن الرجل يفضل القديم على المحدث ، ولا أنه في حقيقة أمره يفضل البديع على نفسه ؛ إذ أن هناك دلائل من صلب المقامات - كما سنرى - تدل على أنه يعتقد بتفوق المحدثين على القدماء ، وأنه يعتقد بتفوق مقاماته على مقامات البديع ، وإن نظرة فاصحة نلقيها على هذين البيتين اللذين تمثل بهما الحريري بعد ثنائه على البديع لتطلعنا على حقيقة رأيه في نفسه وفي البديع . فالذي يبدو أن الحريري يريد أن يقول : إن البديع لا يفضل به شيء إلا بتقدمه عليه في الزمن ، وإلا فلو قدر له هو أن يتقدم على البديع لما كانت به حاجة إلى أن يعترف له بالفضل (١٦) . ويؤيد هذا أن الحريري في موطن آخر من المقامات قد حكم بتفوق مقاماته على مقامات البديع ولكنه لم يعلن رأيه بضمير التكلم وإنما أجراه على لسان بطل مقاماته . ففي المقامة « الحجرية » يطالعا السروجي ينشد أبياتاً منها :

« بالله يا مهجة قلبي قل لي
هل أبصرت عيناك قط مثلي
يفتح بالريقة كل قفل
ويستبي بالسحر كل عقل
ويعجن الجدّ بماء الهزل
إن يكن الإسكندري قبلي
فالطل قد يبدو أمام الوبل

والفضل للوابل لا للطل » (١٧)

فأبو زيد السروجي هنا يقارن بين نفسه وبين أبي الفتح الإسكندري - بطل مقامات البديع - فهو يشبه الإسكندري بالطل وهو أضعف المطر ، ويشبه نفسه بالوبل وهو المطر الجود ويقول : إن



أوجز أعجز ، وإن بده شده ، ومتى اخترع
خرج ^(١٧) ولما سأل كبير القوم بطل المقامات
عن يكون ذلك الشخص ؟ أجابه البطل بأنه
يقصد نفسه ، وهنا حذره كبير القوم من مغبة
إدعائه مشيراً إلى قدرة الحاضرين على تمييز جيد
الكلام من رديئه . ولكن البطل كان واثقاً من
نفسه كل الثقة لذا نراه يقبل التحدي ويعرض نفسه
للامتحان ، وهنا تقدم منه أحد الحاضرين ممن له
باع في الفصاحة طويل وقَدَّمَ نفسه للبطل قائلاً :

■ إنه كان صديقاً للوالي ، وإنه كان ممن يتكسب
بيانه في بلده ولكن الأيام ما لبثت أن دارت
عليه ، وذهبت بما يملكه فقصد الوالي المشار إليه
طمعاً في عطائه ، وقد أنعم عليه الوالي بما كان
يأمله ، ولكنه عندما عزم على العودة إلى أهله أخبره
الوالي بأنه لن يزوده بما يحتاج إليه من جهاز ومؤونة
إلا إذا أنشأ رسالة يضمنها شرح حاله وتكون
حروف إحدى كليتها منقوطة وحروف الأخرى
خالية من النقط ، ويقول الرجل : إنه أمضى حولا
كاملاً وهو يستنهض خاطره لتحريض هذه الرسالة
ولكن خاطره ما ازداد إلا جموداً ، فما كان منه
إلا أن ذهب يستعين بقاطبة الكتاب ولكن كلا
منهم كما يقول : « قطب وتاب » ^(١٨) . وقد عرض هذا
الرجل على أبي زيد السروجي أن ينشئ نيابة عنه
هذه الرسالة إن كان صادقاً فيما ادعاه من قدرة على
الابتداع . وقد رحب السروجي بالعرض . وبعد
فترة قصيرة من التفكير شرع في إملاء الرسالة
المطلوبة التي في أولها :

■ « الكرم - ثبت الله جيش سعودك يزين ،
واللؤم - غض الدهر جفن حسودك - يشين ،

التالي من المقامة - لا يوافق هؤلاء الكتاب على
هذا الرأي . بل يرى أن المتأخرين قد فاقوا
المتقدمين بما امتازت به ألفاظهم من تهذيب ، وبما
اشتملت عليه كتاباتهم من استعارات عذبة ،
وألفاظ مسجوعة ، وبما استحدثوه من رسائل
زينوها بشتى أنواع الزينة . وهو يرى أن المرء إذا
دقق النظر فإنه سيجد أن القدماء لم يأتوا إلا بمعاني
مطروقة لا فضل لهم في الإتيان بها إلا بحكم أنهم
تقدموا في الزمن فسبقوا المتأخرين إلى ذلك .

« وكان بالمجلس كهل جالس في الحاشية . عند
مواقف الماشية ... فلما نثلت الكنائس ... أقبل
على الجماعة وقال : لقد جئتم شيئاً إداً ، وجرتم
عن القصد جدا ، وعظمت العظام الرفات ، وافتتم
في الميل إلى من فات ، وغمصتم جيلكم الذين فهم
لكم اللدات ، ومعهم انعقدت المودات ، أنسيم
يا جهابذة النقد ، وموابذة الحل والعقد ،
ما أبرزته طوارف القرائح ، وبرز فيد الجذع على
القارح ، من العبارات المهذبة ، والاستعارات
المستعذبة ، والرسائل الموشحة ، والأسابيع
المستملحة ، وهل للقدماء إذا أنعم النظر من
حضر ، غير المعاني المطروقة الموارد ، المعقولة
الشوارد ، الماثورة عنهم لتقادم الموالد ، لا لتقدم
الصادر على الوارد » ^(١٦) .

والحريري لا يكتفي بهذا الذي أوردناه من
كلامه والذي يمكن أن يقال عنه إنه
مجرد دعوى والدعوى تحتاج إلى بينة .
إن البينة حاضرة لدى الحريري فهو ينطق بطل
المقامات معلناً عن معرفته لشخص « إذا أنشأ
وشى ، وإذا عَبَّرَ حَبَّر ، وإن أسهب أذهب ، وإذا



والأروع يثيب ، والمُعَوَّرُ يخيب ، والحلاحل يضيف ، والماحل يخيف ، والسمح يغذي ، والمحك يقذي ، والعطاء ينجي ، والمطال يشجي ، والدعاء يسقي ، والمدح ينقي ، والحر يجزي ، والإلطاظ يجزي ... »^(١٩) ويذكر الحريري أن السروجي عندما « فرغ من إملاء رسالته ، وجلى في هيجاء البلاغة عن بسالته . أرضته الجماعة فعلا وقولا ، وأوسعته حفاوة وطولا »^(٢٠) . ولم يقتصر الإعجاب بالسروجي على الجماعة التي حضرت ديوان النظر بالمراغة . بل إن شهرته قد شاعت حتى وصلت إلى الوالي الذي أجزل له العطاء ، وعرض عليه أن ينضم إلى خاصته ، وأن يلي له ديوان إنشائه ، ولكن السروجي رفض هذا العرض واكتفى بأخذ العطاء^(٢١) .

فالحريري هنا يحكم بتفوق المتأخرين على القدماء في فن الكتابة ، ولكنه لم يصدر حكمه سريعا في جملة واحدة ، وإنما أراد أن يعرض لنا أطراف المشكلة ويبين لنا اختلاف الناس فيها . فهو قد ذكر أن جماعة الكتاب التي حضرت ديوان النظر بالمراغة كانت تفضل المتقدمين على المتأخرين . ونسبته هذه الفكرة إلى جماعة الكتاب يقصد بها الإشارة - فيما يبدو - إلى أن أغلب الأدباء كانوا يفضلون القدماء على المحدثين ، ولكن كثرة من يرى هذا الرأي لا تعني أن الصواب في جانبهم . فأبو زيد السروجي هو وحده من بين من حضر ذلك المجلس الذي رأيناه يقول قولاً مغايراً يخالف فيه الحاضرين فيما يعتقدونه . وبما أن الرأي الذي يراه السروجي رأى غريب على هؤلاء الكتاب ومستنكر منهم ، لذا فإنه لكي يصدق

لا بد له من براهين وحجج ، وهنا رأينا الحريري يعقد للسروجي امتحانا صعبا سبق أن أعجز كثيرين من ذوى البراعة والفصاحة . فالرجل الذي طلب من السروجي أن ينشئ عنه الرسالة الصعبة لم يكن رجلا من عامة الناس وإنما كان صاحب بلاغة وكان يتكسب ببيانه ، والذين استعان بهم ذلك الرجل بعد أن خانه طبعه وأعوزته آله هم كذلك كتاب لهم وزنهم وشهرتهم ولكنهم مع ذلك آثروا الاستقالة . وعندما أنشأ السروجي الرسالة المطلوبة رأينا إجماعا من الكتاب الذين حضروا ديوان النظر على تفوقه في فن الإنشاء بعد أن كانوا ينكرون عليه دعواه ويخالفونه في رأيه ، ولم يقتصر إعجابهم به على مجرد الثناء ، بل إنهم قد أكرموه وأغدقوا عليه العطاء . وعندما وصل خبره إلى الوالي رأيناه هو الآخر يجزل له العطاء ويعرض عليه أن ينضم إلى خاصته وأن يلي له ديوان إنشائه ، وهذا اعتراف - ما بعده اعتراف - بتفوق السروجي على غيره ، وهو من طريق آخر اعتراف واضح بتفوق المتأخرين على المتقدمين . وهذا الحكم الذي أصدره الحريري هنا ليس جديدا ولا غريبا في حد ذاته ، فقبله وجد أدباء ونقاد كانوا يرون هذا الرأي . ولكن الشيء الذي يثير التساؤل هنا هو السبب الذي دعا الحريري إلى الحكم بتفضيل المحدثين على القدماء . فهو - كما رأينا - قد حكم بتفضيل السروجي على غيره ، وجعل أولئك الكتاب الذين أثنى على فصاحتهم وقد رتهم على تمييز جيد الكلام من رديئة ، والذين كانوا إلى وقت فراغ السروجي من إملاء رسالته الغريبة يقولون بتفوق القدماء على المحدثين ، جعل



الحريري أولئك الكتاب يغيرون آراءهم ويعترفون للسروجي بالتفوق لا لشيء إلا لأنه جاء بتلك الرسالة التي تنطق بالتكلف ، والتي لا تعدو أن تكون مجرد ألعيب لفظية ضحى فيها بالمعنى لحساب تلك الألعيب وما رافقها من محسنات بديعية متكلفة . ونحن وإن كنا ننفر من هذا الأسلوب ، ونحس بثقله على النفس ، ولا يمكن لنا بحال من الأحوال - في وقتنا هذا - أن نحكم بتفضيله على أسلوب المضبوعين من القدماء ، إلا أننا مع هذا ندرك تباين الأذواق ، وتفاوت الميول وفقاً لتباين الأزمان .

فقد كان هذا الأسلوب الذي ننفر منه الآن قبلة أصحاب البلاغة ، وكان المتأدبون في عصر الحريري يقدمونه كثيراً على الأسلوب السلس المطبوع الذي لا تثقله المحسنات . والحريري بتفضيله لهذه الرسالة التي تعني بالشكل على حساب المضمون كان - فيما يبدو - متأثراً برأى بعض النقاد الذين كانوا يقولون بأن منافذ الإبداع في المعنى قد سدت على المحدثين ، لأن القدماء قد استنفدوا المعاني ، فلم يعد هناك مجال للتجديد أمام المحدثين إلا في جانب الشكل ، وعن طريق إعادة المعاني القديمة في صياغات جديدة^(٢٢) . ولكننا لا نظن أبداً أن أولئك النقاد كانوا سירתضون تلك الرسالة مثالا للتجديد الذي كانوا ينادون به ، ويحثون المحدثين على الأخذ به .

السراقات الشعرية :

موضوع السراقات الشعرية موضوع واسع طرقه كثير من النقاد السابقين للحريري واللاحقين له ، وقد أسبقه كثير منهم بحثاً ورأوا أنه ليس بعيب أن

يتكىء الشاعر على من سبقه من الشعراء شريطة أن يزيد في إضاءة المعنى ، أو أن يعيد سبك الكلام سبكاً أفضل من سبك من سبقه ، إلى تلك الشروط التي وضعوها لهذه القضية^(٢٣)

وقد عرض الحريري في المقامة الشعرية رأي الشعراء في السرقة ، فذكر أنهم ينكرونها ، ويرون أنها أشنع من سرقة الذهب والفضة ، كما أشار إلى أنهم كانوا يغارون « على بنات الأفكار كغيرتهم على البنات الأ Bakar »^(٢٤) .

في هذه المقامة يطالعنا السروجي وقد أمسك بفتى في ريعان الشباب يقتاده إلى الوالي شاكياً إياه لتعديه عليه . وبين يدي الوالي نسمع هذا الحوار بين السروجي (الشيخ) وبين الغلام : « فقال له الشيخ : ويلك وأي رب أخذى من ريبك ، وهل عيب أفحش من عيبك ، وقد ادعيت سحري واستلحقته ، واستملت شعري واسترقته ، واسترق الشعر عند الشعراء أفطع من سرقة البيضاء والصفراء ، وغيرتهم على بنات الأفكار كغيرتهم على البنات الأ Bakar . فقال الوالي للشيخ وهل حين سرق سلخ ، أم مسخ أم نسخ . فقال والذي جعل الشعر ديوان العرب وترجمان الأدب ما أحدث سوى أن بتر شمل شرحه وأغار على ثلثي شرحه^(٢٥) » .

وهنا نجد الوالي يطلب من السروجي أن ينشد أبياته التي ادعى أن الغلام قد استرق منها لكي يتبين موضع الأخذ ، فيندفع السروجي منشداً أبياتاً منها :

يا خاطب الدنيا الدنية إنها

شرك الردى وقرارة الأكدار

دار متى ما أضحكت في يومها

الباطل فتراسلا في النظم وتباريا، وتجادلا في حلبة
الإجازة وتجاريا ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من
حَيٍّ عن بينة ، فقالا له بلسان واحد وجواب
متوارد ، قد رضينا بسيرك فمرنا بأمرك . فقال إني
مولع من أنواع البلاغة بالتجنيس وأراه لها كالرئيس .
فانظما الآن عشرة أبيات تلحمانها بوشيه ،
وترصعانها بحلية . وضمنناها شرح حالي مع إلف لي
بديع الصفة ، ألمى الشفه ، مليح التشبي ، كثير التيه
والتجني ، مغري بتناسي العهد وإطالة الصد ،
وإخلاف الوعد ، وأنا له كالعبد ، قال : فيرد
الشيخ مجلياً وتلاه الفتى مصلياً ، وتجاريا بيتاً فبيتاً
على هذا النسق إلى أن كمل نظم الأبيات واتسق
وهي :

وأحوى حوى رقى برقة ثغري
وغادرني إلف السهاد بغدره
تصدى لقتلي بالصدود وإنني
لفي أسره مذ حاز قلبي بأسره
أصدق منه الزور خوف أزوراره
وأرضى اسقاع الهجر خشية هجره
واستعذب التعذيب منه وكلما
أجد عذابي جد بي حب بره

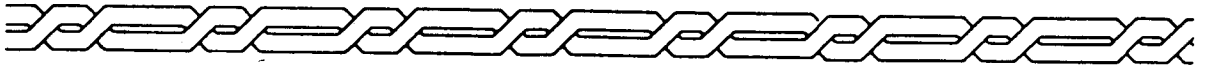
فلما أنشدناه الوالي متراسلين ، بهت لذكاءيهما
المتعادلين ، وقال أشهد بالله أنكما فرقاً أسماء ،
وكنزدين في وعاء ، وأن هذا الحدث لينفق مما آتاه
الله ، ويستغنى بوجهه عن سواي ، فشب أيها الشيخ
من إتهامه وثب إلى إكرامه ... (٢٨).

يتبين لنا من هذا الذي أوردناه من كلام
الحريري أنه يرى أن الناقد ينبغي له أن لا يتسرع في

أبكت غدا بعداً لها من دار
وإذا أظلم سحابها لم ينتقع (٢٦)
منه صدى لجهامه القرار
وبعد أن أكمل السروجي إنشاد أبياته سأله الوالي
عما صنعه الغلام تجاه هذه الأبيات فقال السروجي :
« أقدم للؤمه في الجزاء على أبياتي السداسية الأجزاء
فحذف منها جزأين ، ونقص من أوزانها وزنين ،
حتى صار الرزء فيها رزأين فقال له : بين ما أخذ ،
ومن أين فلذ ؟ فقال : أعزني سمعك وأخل للفتهم
عني ذرعك حتى تتبين كيف أصلت على وتقدر
وقدر اجترامه إليّ ثم أنشد وأنفاسه تتصاعد :
ياخاطب الدنيا الدنية

إنها شرك الردى
دار متى ما أضحكت
في يومها أبكت غدا
وإذا أظلم سحابها
لم ينتقع منه صدى (٢٧)

وما أن فرغ السروجي من إنشاد الأبيات حتى
التفت الوالي إلى الغلام وقال : تباً لك من خريج
مارق ، وتلميذ سارق . فقال الفتى : برئت من
الأدب وبنيه ولحقت بمن يناويه ويقوض مبانیه ، إن
كانت أبياته نمت إلى علمي قبل أن ألفت نظمي ،
ولمّا اتفق توارد الخواطر ، كما قد يقع الحافر على
الحافر قال : فكأن الوالي جوز صدق زعمه ، فندم
على بادرة ذمه ، فظل يفكر فيما يكشف له عن
الحقائق ، ويميز به الفائق من المائق . فلم يرَ
إلا أخذهما بالمفاضلة . ولزمهما في قرن المساجلة فقال
لهما : إن أردتما افتضاح العاطل ، واتضاح الحق من



اتهم أحد الشعراء في الأخذ من الآخر حتى ولو كان التشابه كبيراً بين أبياتهما ؛ إذ قد تكون أبيات الشاعر الأول لم تقرر أسماع الشاعر الآخر وإنما ذاك من باب وقوع الحافر على الحافر كما يقال .

ما الذي ينبغي عمله إذا لمعرفة السرقة ؟ يقول الحريري : إنه ينبغي وضع الشعارين أمام الإمتحان لكي يبلو الممتحن قريحتيهما ويعلم أيهما أقدر من الآخر ، وذلك بأن يشترك الشعاران في نظم قصيدة واحدة فيقول أحدهما البيت الأول ويقول الآخر البيت الثاني وهكذا على هذا النسق إلى نهاية القصيدة وهو ما عبر عنه الحريري بالمساجلة . وهذه المساجلة تتطلب اتحاد الأبيات في الوزن والقافية .

واتحاد الموضوع الذي تحدث عنه الأبيات ، إضافة إلى الشروط الأخرى التي يمكن أن يضعها الممتحن . ولكن هذه الطريقة ليست عادلة في نظرنا ، وعلى افتراض عدالتها فإنها لا يمكن أن تطبق إلا على الشعارين المتعاصرين اللذين بإمكانهما أن يتساجلا ، أما بالنسبة لشاعر قديم وشاعر محدث فإن هذا متعذر بالطبع . هذا وإذا عدنا لمسألة المساجلة نفسها فإننا نجد أنها لا يمكن أن تتخذ أساساً عادلاً ولا للحكم على جميع الشعراء ؛ لأن طريقة الشعراء في النظم مختلفة ، فهناك من يستطيع أن يرتجل ، وهناك من لا يستطيع ، وقد يكون شعر الشاعر المتأني أكثر تعبيراً عن مشاعره من شعر الشاعر المرتجل . وقد يكون الشعر المرتجل لا روح فيه ولا معنى وراءه وإنما هو عبارات مرصوفة لا طائل تحتها . فليس عجز الشاعر المتأني عن الارتجال إذا بطاعن في

جودة شعره ولا في قدرته على الابتداع . ولا ينبغي أن تتخذ القدرة على الارتجال مقياساً للحكم على شاعرين يتبعان طريقتين مختلفتين في النظم . أما بالنسبة لشاعرين ينظمان على طريقة واحدة فإنها يمكن أن تكون صالحة وهذا هو الشأن بالنسبة لهذين الشعارين اللذين حكم بينهما الحريري في هذا المقامة . فقد أثبت هذان الشعاران قدرتهما على الارتجال وثبت بالفعل أنهما كانا كفربي رهان . ولقد قلنا . إن هذين الشعارين قد أثبتا أنهما كفربي رهان ، من باب التجوز لأنه في الحقيقة لم يكن هناك شاعران أصلاً وإنما كان هناك شاعر واحد هو الحريري ، نظم هذه الأبيات ونسبها إلى الشعارين الوهميين المشار إليهما . أما فكرة المساجلة نفسها فليست من اختراع الحريري وإنما هي قد وجدت في الأدب العربي منذ أقدم عصوره^(٢٩) ، والشروط التي تقتضيها المساجلة والتي على أساسها يوازن بين الشعراء وهي الاتفاق في الوزن والقافية والموضوع . كانت هي الأخرى معروفة عند جميع المتساجلين ، كما أن النقد المتخصصين السابقين للحريري قد استخدموا هذه الشروط في موازنتهم بين الشعراء . فالآمدى مثلاً في موازنته بين شعر أبي تمام والبحريري يقول : « ثم أوزان من شعريهما بين قصيدة وقصيدة ، إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية ، ثم بين معنى ومعنى ، فإن محاسنهما تظهر في تضاعيف ذلك وتتكشف »^(٣٠).

أما عن الشرط الإضافي الذي اشترطه الحريري بجانب الشروط التي تقتضيها المساجلة وهو أن يورد الشعاران المتساجلان مثلاً أو أكثر للتجنيس

والنصف الآخر غير منقوط ^(٣٤) ، ومر بنا أيضا إعلانه عن غرامه بالتجنيس واعتباره إياه بمنزلة الرئيس بالنسبة لأنواع البلاغة ^(٣٥) . كما أنه قد عاب البحري في المقامة الحلوانية على تقصيره في إيراد أنواع البديع في شعره ، ففي هذه المقامة نلتقي بأبي زيد السروجي في دار الكتب بخلوان ونراه يسأل أحد رواد تلك المكتبة عن الكتاب الذي يطالع فيه فيجيبه الرجل بأنه ديوان أبي عبادة البحري فيسأله السروجي : « هل عثرت له فيما لحته على بديع استملحته » ^(٣٦) فيجيب الرجل بالإيجاب وينشد قول البحري :

« كَأَنِّي تَبَسُّمٌ عَنْ لَوْلُؤٍ

مَتَضِدٌ أَوْ بَرْدٌ أَوْ أَقْحَاحٌ ^(٣٧)

ويشني على التشبيه الذي اشتمل عليه هذا البيت ، ولكن السروجي لم يعجبه هذا الثناء فيضيف .

« يا للعجب ، ولضيعة الأدب ، لقد استسمت يا هذا ذا ورم ونفخت في غير ضم ، اين أنت من البيت الندر الجامع مشبهات الثغر وأنشد :

نفس الفداء لثغر راق مبسمه

وزانه شنب ناهيك من شنب

يغتر عن لؤلؤ رطب وعن برد

وعن أقحاح وعن طلع وعن حب

فاستجاده من حضر واستحلاه واستعاده منه واستملاه وسئل لمن هذا البيت ؟ وهل حي قائله أم ميت . فقال : أيم الله للحق أحق أن يتبع وللصدق حقيق بأن يستمع إنه يا قوم لتجيكمن منذ

في كل بيت ينظمائه ^(٣٨) ، فإننا نرى أن الوفاء بهذا الشرط لا يدل على جودة طبع الشاعر ولا على قدرته على اختراع المعاني ، وإنما هو مظهر من مظاهر التكلف يؤاخذ عليه الشاعر ؛ لأن انصرافه إلى العناية بالشكل خليق بأن يكون على حساب المعنى الذي يقصد التعبير عنه .

وأما بخصوص مصطلحات السرقة التي أشار إليها الحريري في هذه المقامة وهي : الاستلحاق ، والانتحال ، والسرق والسلخ والمسخ والنسخ والإغارة والإصلاات ^(٣٩) فإن بعض النقاد السابقين له قد أوردوها كلها في مؤلفاتهم ما عدا مصطلح المسخ ^(٤٠) فإننا لم نعثر على من استخدمه قبله ، لذا فإننا لا نستبعد أن يكون الحريري قد اخترع هذا المصطلح ، أو أن يكون قد استعاره من ناقد قبله ولم نوفق في العثور عليه عنده .

اللفظ والمعنى :

لقد عاش الحريري في القرنين الخامس والسادس للذين شهدا تفشي المحسنات البديعية في الشعر والنثر على السواء ، وقد كان غرام الحريري بهذه المحسنات يفوق غرام من سبقه من الأدباء ، وإن نظرة عاجلة يلقيها الدارس على مقاماته لكفيلة بإعطائه دليلا قاطعا على احتفال الحريري باللفظ ، واهتمام الكبير بشتى أنواع الزينة التي تُدخل على الأسلوب الكتاني والشعري ، ولم يكتف الحريري في إعلان اهتمامه باللفظ بمجرد التطبيق العملي في مقاماته ، بل إنه قد أعلن عن هذا الاهتمام صراحة في أكثر من مقاماته . فقد مر بنا ثناؤه على تلك الرسالة التي وردت نصف كلماتها منقوطة

وعندما يكون الكلام هو الذي يستدعيها ، والبيت الذي لم يرض عنه الحريري من أجود أبيات البحرى في وصف الثغر ، وقد شهد له بالجودة كثير من النقاد ، وأوردوه في مصنفاتهم مثلاً لتشبيه شيء واحد بثلاثة أشياء^(٤٠).

ولكن الحريري المغرم باللفظ وما يتبعه من محسنات بديعية وأمور بلاغية أخرى . لم يشف غلته هذا البيت على الرغم من اشتاله على ثلاثة تشبيهات ، لذا رأيناه يفضل عليه أبياته المصنوعة . هذا وإن نقد الحريري للبحرئى في هذه المقامة ليذكرنا - بما سبق أن أشرنا إليه - من نقد بديع الزمان الهمذاني للجاحظ - فقد أخذ البديع على الجاحظ - ضمن ما أخذه - خلو أسلوبه من الصنعة ، وقلة استعاراته وقرب عباراته^(٤١).

مناقضة الشاعر أو الناثر لنفسه :

ومن الموضوعات التي طرقتها الحريري وأدار عليها ثلاثاً من مقاماته سألة مناقضة الشاعر أو الناثر لنفسه في أقواله ؛ كأن يمدح شيئاً في موطن ثم يعود فيذمه في موطن آخر . فالحريري يرى أن الشاعر أو الناثر الذي يستطيع أن يمدح الشيء ثم يذمه ويحيد في كلتا الحالتين إنما هو شاعر أو ناثر متمكن من صنعته ، ولا يعيبه أبداً هذا التناقض بين أقواله ما دامت الجودة الفنية متوافرة في كلا الكلامين . ففي المقامة الدينارية يطالعنا راوي المقامات الحارث بن همام وقد بُهرَ بفصاحة أبي زيد السروجي . الذي كان متتكراً في صورة مستجد . فيخرج الحارث ديناراً ويَعِدُّ السروجي بأنه سيمنحه إياه إن هو مدح الدينار نظماً .

اليوم»^(٣٨) ولكن الجماعة ارتابت في دعواه وأحس هو بذلك الارتباب الذي ساورهم فكان إن عرض عليهم إمتحانه ، وهنا تقدم منه أحد الحاضرين قائلاً : « أعرف بيتاً لم ينسج على منواله ولا سمحت قريحة بمثله فإن آثرت اختلاب القلوب فانظم على هذا الأسلوب وأنشد :

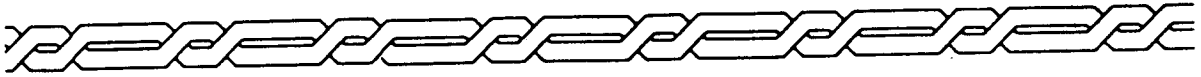
فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت
وردأً وعضت على العتاب بالبرد
فلم يكن إلا كلمح البصر حتى أنشد فأعزب .

سألها حين زارت نضو برقعها
القاني وإيداع سمعي أطيب الخبر
فرحزحت شفقاً غشى سنا قمر
وساقت لؤلؤاً من خاتم عطر

فحار الحاضرون لبدهته ، فلما أنس استئناسهم بكلامه ، وانصباهم إلى شعب إكرامه ، أطرق كطرفة العين ثم قال دونكم بيتين آخرين وأنشد :

وأقبلت يوم جد الين في حلل
سود تعض بنان النادم الحاضر
فلاح ليل على صبح أقلهما
غصن وضرست البلور بالدر
فحيث استسنى القوم قيمته ، واستغزوا ديمته ، وأجملوا عشرته وجملوا قشرته »^(٣٩).

فالحريري في هذه المقامة يريد أن يغمز من قناة البحرئى متهما إياه بالتقصير في أغراض البديع ، لأن البحرئى - كما هو معروف عنه - لم يكن يقصد إلى تلك الأغراض قصداً كما كان يفعل أبو تمام وأضرابه ، وإنما هي تأتي في شعره عفواً



فيندفع السروجي مرتجلاً أياتاً منها :

« أكرم به أصفر راقص صفرته

جواب آفاق ترامت صفرته

مأثورة سمعته وشهرته

قد أودعت سر الغنى أسرته

وقارنت نبح المساعي خطره

وحببت إلى الأنعام غرته

كأنما من القلوب نقرته

به يصول من حوته صرته » (٤٢)

وأعجبت الأيات الحارث بن همام فأخرج
دينارا آخر وقال للسروجي إنه سينقده إياه إن هو
قال شعرا في ذمه ، فاندفع السروجي مرتجلاً أياتاً
منها :

« تبأ له من خادع مـاذق

أصفر ذي وجهين كالمنافق

يبدو بوصفين لعين الرامق

ذينة معشوق ولون عاشق

وحبه عند ذوى الحقائق

يدعو إلى ارتكاب سخط الخالق

لولاه لم تقطع يمين سارق

ولا بدت مظلمة من فاسق » (٤٣)

وفي المقامة الفراتية نجد الحريري يقارن - على
لسان أبي زيد السروجي - بين كتابة الإنشاء
وكتابة الحساب ، فقد اجتمع السروجي في سفينة
مع مجموعة من الكتاب وأخذ هؤلاء في المفاضلة
بين نوعي الكتابة المشار إليهما ، وعلت أصواتهم
بحججهم وعند هذا قال السروجي :

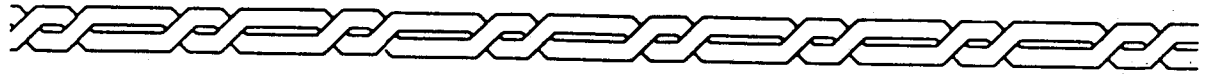
« لقد أكثرتم يا قوم اللفظ ، وأثرتم الصواب

والغلط ، وإن جليلة الحكم عندي ، فارتضوا
بنقدي ، ولا تستفتوا أحدا بعدي . أعلم أن
صناعة الإنشاء أرفع وصناعة الحساب أنفع ، وقلم
المكاتبة خاطب ، وقلم المحاسبة حاطب ، وأساطير
البلاغات تنسخ لتدرس ، ووساير الحسابات
تنسخ وتدرس ، والمنشئ جهينة الأخبار ، وحقيبة
الأسرار ، ونحى العظماء ، وكبير الندماء ، وقلمه
لسان الدولة ، وفارس الجولة ، ولقمان
الحكمة ... » (٤٤).

فالسروجي هنا يعلي من شأن كتاب الإنشاء ،
ويفضلهم على كتاب الحساب ولكنه عندما نطق
بقوله هذا اتضح له أنه قد أرتضى بعضاً وأسخط
بعضاً ، فأضاف :

« إلا أن صناعة الحساب موضوعة على
التحقيق ، وصناعة الإنشاء مبنية على التلقيق ،
وقلم الحاسب ضابط ، وقلم المشيء خابط ، وبين
إتاوة توظيف المعاملات ، وتلاوة طوامير
السجلات بون لا يدركه قياس ، ولا يعتوره
التباس ، إذ الإتاوة تملأ الأكياس ، والتلاوة تفرغ
الرأس ... على أن يراع الإنشاء متقول ، ويراع
الحساب متأول ، والمحاسب مناقش ، والمنشئ
أبو براقش » (٤٥).

وفي المقامة البكرية نلتقي بأبي زيد السروجي
وقد عقد العزم على الزواج ، فاستشار شاباً بأصافه عن
أي أنواع النساء يتزوج ؟ ألبكر أم الثيب ؟ فأخذ
الفتى يمدح الاثنين ، ويورد من صفاتهما الحسنة
ما يعلي كثيراً من شأنهما (٤٦) ، ولكن السروجي
عقب على كلام الفتى قائلاً : إنه قد سمع « أن
البكر أشد حبا وأقل خبا » (٤٧) فأنبرى الفتى



عندئذ متحدثاً عن الصفات الذمومة للبكر تم أعقبها بالصفات الذمومة للثيب . وقد أبدى براعة فائقة في اختيار ألفاظه ، وفي الإتيان على أكثر الصفات السيئة لهاتين المراتين ^(٤٨) .

والحريري في هذه المقامات الثلاث يبدي إعجابه - إما على لسان بطل المقامات أو راويها ، أو على ألسنة من حضرها من النظارة - من امتلاك هؤلاء المتحدثين لزمام الفصاحة وقدرتهم على التصرف في فنون القول ^(٤٩) ، وهذا حكم منه على أنه ليس شرطاً أن يلتزم الشاعر أو الكاتب في كل حال بما يعتقد ، بل له أن يقول الشيء وضده وأن يناقض نفسه متى ما أجاد في كلتا الحالتين .

وهذا الرأي ليس من ابتكار الحريري إذ أن الجاحظ في البيان والتبيين قد أورد نماذج من أقوال بعض ^(٥٠) الفصحاء . التي مدحوا فيها الشيء ثم ذموه تبعاً لتغير الدواعي واختلاف الأهواء . كما أن قدامة بن جعفر قيل الحريري قد ناقش هذه القضية في كتابه نقد الشعر ، وأبدى فيها رأيه المشهور حيث يقول :

« وما يجب تقديمه أيضاً أن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً ثم يذمه بعد ذلك ذمّاً حسناً أيضاً ، غير منكراً عليه ولا معيب من فعله ، إذا أحسن المدح والذم . بل ذلك عندي يدل على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها ... » ^(٥١) .

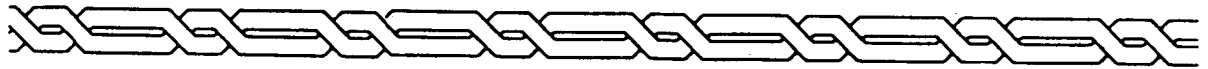
كساد سوق الأدب :

لقد تحدث الحريري أيضاً عن انصراف الناس في عصره عن الأدب ، وعن كساد سوقه ،

وملازمة الفقر لمن تعلق به . وليس الحريري بأول من اشتكى من هذه الحالة المحزنة فقبله كثيرون اشتكوا منها ، وقديماً قيل في وصف فقر الأديب : أدركته حرفة الأدب ^(٥٢) .

في المقامة الإسكندرانية يطلعنا الحريري على مشهد رآه الحارث بن همام في مجلس قاضي الإسكندرية ، وهو عبارة عن امرأة ذات صبي تسوق رجلاً إلى القاضي تريد أن تقاضيه بحجة أنه قد خدع أباه ، لأن أباهما أقسم أن لا يزوجهما إلا من ذي حرفة ، فتقدم هذا الرجل لوالدها « وادعى أنه طالما نظم درة إلى درة فباعها بيدرة » ^(٥٣) فآغتر والد المرأة بقوله فزوجها منه ، ثم تبين بعد ذلك أن الزوج ليس بذئ مال ولا بذئ حرفة . وأراد القاضي في مجلس الحكم أن يكشف جليلة الأمر فطالب الزوج بأن يكشف عن حقيقة أمره وإلا فإن السجن ينتظره فأطرق الزوج قليلاً ثم اندفع شارحاً أمره في أبيات منها :

« وشغلي الدرس والتبحر في العلم
لم تلامي وبهذا الطلب
ورأس مالي حر الكلام الذي
منع يصاغ القريض والخطب
أغوص في لجة البيان فأخـ
تار اللآلي منها وأنتخب
وأجني اليانع الجنى من الـ
قـول وغيري للعود يحتطب
وأخذ اللفظ فضة فإذا
ما صغته قيل إنه ذهب



وطالما زفت الصلوات إلى
ربعي فلم أرض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجاء به
أكسد شيء في سوقه الأدب
لا عرض أنبائه يصفان ولا
يرقب فيهم إل ولا نسيب

ما المكر بالمحسنات من خلقي
ولا شعاري التمويه والكذب
ولا يدي منذ نشأت يقط بها
إلا مواضي اليراع والكتب
بل فكرتي تنظم القلائد لا
كفى وشعري المنظوم لا السخب» (٥٤)

ولم يكتف الحريري في هذه المقامة بإيراد دعوى
البطل وحده عن كساد سوق الأدب ، بل إنه عزز
ذلك بإيراد حكم القاضي في هذه القضية والذي
جاء مؤيداً كل التأييد للفكرة التي أراد البطل
إثباتها ، وذلك أن القاضي بعد سماعه لتلك الأبيات
التفت إلى المرأة قائلاً :

« أما إنه قد ثبت عن جميع الحكام ، وولاة
الأحكام ، انقراض جيل الكرام ، وميل الأيام إلى
اللئام ، وإني لإخال بعلك صدوقاً في الكلام برياً
من اللام .. فارجمي إلى خدرك ، واعذري أبا
عذرک ، ونهني عن عزبك وسلمي لقضاء
ربك » (٥٥) .

ولقد كانت فكرة كساد سوق الأدب تلح
كثيراً على ذهن الحريري لأننا نراه يعيدها مرة

أخرى في المقامة البكرية ، ففي هذه المقامة يطالعنا
الحارث بن همام في حوار مع أبي زيد السروجي
حول الأدب وفضله ، فالحارث بن همام يتعصب
للأدباء كثيراً ويفضل الأديب على صاحب المال ،
وأما السروجي فيرى أن الأدب قد فقد بريقه عند
الناس فلم يعد زيناً إلا لمن في يده مال أو من له حظ
من السؤدة . أما بالنسبة للفقير فإن الأدب لن
يجدي عليه شيئاً ؛ لذا فخير له أن يبحث عن
مصدر آخر غيره للكسب (٥٦) .

وبينا الرجلان يتحاوران وهما على سفر وقد
أخذ منهما الجوع والتعب مأخذه وصلّا إلى قرية
قد ضلّاهما للبحث عن طعام وهناك التقى بهما
غلام لم يبلغ الحلم بعد .

« فحياه أبو زيد تحية المسلم ، وسأله وقفة
المفهم ، فقال وعم تسأل وفقك الله ؟

قال أبيع ههنا الرطب بالخطب ؟ فقال :
لا والله . قال ولا البلح بل الملح ؟ قال : كلا
والله . قال : ولا التمر بالسمر ؟ قال : هيات
والله . قال : ولا العصائد بالقصائد ؟ قال :
اسكت عافاك الله . قال : ولا الثرائد بالفرائد ؟
قال : أين يذهب بك أرشدك الله . قال :
ولا الدقيق بالمعنى الدقيق ؟ قال : عدّ عن هذا
أحلمك الله ، واستحلى أبو زيد تراجع السؤال
والجواب .. ولمح الغلام أن الشوط بطين والشيخ
شويطين فقال له : حسبك يا شيخ قد عرفت
فك .. فخذ الجواب صبرة واكتف به خيرة .
أما بهذا المكان فلا يشتري الشعر بشعيرة ،
ولا النثر بنشارة ، ولا القصص بقصاصة ،
ولا الرسالة بغسالة ، ولا حكم لقمان بلقمة ،

ولا أخيار الملاحم بلحمه ، وأما جيل هذا الزمان فما منهم من يبيع ، إذا صيغ له المديح ، ولا من يميز إذا أنشدت له الأراجيز ، ولا من يغيث إذا أطربه الحديث ... وعندهم أن مثل الأديب كالربع الحديب ، إن لم تجد الربع ديمة لم تكن له قيمة ، ولا دانت بهيمة ، وكذا الأدب إن لم يعضده نسب فدرسه نصب وخزنه مصب ... فقال لي أبو زيد أعلمت أن الأدب قد بار وولت أنصاره الأديار ... » (٥٧) .

فالحريري في هذه المقامة يعزز دعوى البطل ، مثلما فعل في المقامة الاسكندرانية ، بقول شخص آخر يضع النقاط على الحروف ويكون قوله فصلاً في هذه القضية . ولكن الفرق بين هذه وتلك أن الحريري في المقامة الإسكندرانية قد أنطق قاضي البلدة بما يؤكد كلام أبي زيد السروجي ، أما في هذه فالذي عزز قوله إنما هو غلام لم يبلغ الحلم بعد وكأن الحريري بهذا التفاوت بين منزلة القاضي ومنزلة الغلام يريد أن يثبت أن هناك إجماعاً شبه كامل بين فئات الناس على اختلاف مراتبهم وأعمارهم على كساد سوق الأدب وركود ربحه .

الأغراض البلاغية :

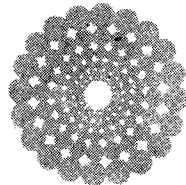
لم يدرس الحريري الأغراض البلاغية دراسة نظرية ، وإنما استخدمها تطبيقياً في كتابته بحيث أصبحت المقامات معرضاً لشتى الأغراض البلاغية من تجنيس وسجع وطباق ومقابلة وتشبيه واستعارة وكتابة وغيرها . والمصطلحات البلاغية

التي ذكرها الحريري بأسمائها هي التجنيس (٥٨) ، والسجع (٥٩) والتشبيه (٦٠) والبديع (٦١) ولكنه لم يُعرّف أيّاً من هذه المصطلحات أو يناقشها .

من هذا العرض الذي قدمناه رأينا أن الحريري رغم أنه لم يؤلف مقاماته بقصد أن تكون كتاباً نقدياً متخصصاً استطاع أن يلم بكثير من القضايا النقدية الرئيسية وأن يطلعنا على أهم الآراء فيها . وإذا كان الحريري لم يأت بآراء نقدية جديدة بل

ولم يستقصى ما كان معروفاً عن تلك القضايا التي تعرض لها . ناهيك عن القضايا الأخرى التي أهملها كلية ، فإن ذلك ليس بطاعن في مقاماته إذا ما وضعنا نصب أعيننا الهدف الذي أنشأ المقامات من أجله وهو التعليم . فالحريري عندما تعرض لتلك المسائل النقدية لم يكن هدفه - فيما يبدو - أن يجدد الرأي فيها ، بل ولا أن يلم بكل ما قيل عنها وإنما أراد إعطاء قارئه فكرة عامة عن النقد الأدبي بحيث تغدو المقامات معرضاً لأنواع المعارف من نحوية ولغوية وفقهية ونقدية وغيرها ، ونحن إذا قومنا الجهد النقدي الذي قدمه الحريري

من هذا المنطلق وجدنا أنه قد وفق في إعطاء الفكرة المنشودة ، وبخاصة إذا أخذنا في الاعتبار هذا الأسلوب القصصي الذي قدمت لنا هذه القضايا النقدية من خلاله ، فقد أصبحنا نحس بطرافة هذه الموضوعات وخفتها على النفس نتيجة لعرضها في هذا المعرض الممتع .

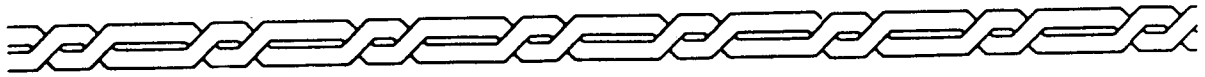


التعليقات

- ١ - شرح مقامات بديع الزمان الهمزاني ٨٧-٨٨ . وانظر نماذج أخرى من نقده في الصفحات ١٢-١٥ ، ٤٩-٥٢ ، ١٨٧-٢٠٣ .
- ٢ - قام أبو عمرو بن العلاء عن المولدين : « ما كان من حسن فقد سبقوا إليه ، وما كان من قبيح فهو من عندهم ، ليس النمط واحداً : ترى قطعة ديباج ، وقطعة مسيح ، وقطعة نطع » انظر العمدة ٩٠/١-٩١ .
- ٣ - « حكى عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي انه قال : أنشدت الأصمعي :
هل إلى نظرة إليك سييل . فيل الصدى ويشفي الغليل
إن ما قل منك يكثر عندي . وكثير ممن تحب القليل
فقال : والله هذا الديباج الخسرواني ، لمن تشدني ؟ فقلت : إنهما ليلتهما فقال : لا جرم والله إن أثر
التكلف فيهما ظاهر » انظر الوساطة ٥٠ وسر الفصاحة ٢٧١ . وانظر أيضاً : فحولة الشعراء ١٢ ، ١٩ .
- ٤ - قال ابن الأعرابي « إنما أشعار هؤلاء المحدثين مثل أبي نواس وغيره مثل الريحان يشم يوماً ويذوى
فيرمى به ، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيباً » وقال عن شعر أبي تمام :
« إن كان هذا شعراً فما قالته العرب باطل » انظر : المشرح ٣٨٤ . أخيار أبي تمام ٢٤٤ . سر
الفصاحة ٢٧١ .
- ٥ - انظر : الكامل ٢٩/١ وسر الفصاحة ٢٧١ .
- ٦ - انظر : الشعر والشعراء ٦٢/١-٦٣ .
- ٧ - انظر : الوساطة ١٥-١٦ ، ٢٤-٢٥ ، ٤٩-٥٠ ، ٥٢-٥٣ .
- ٨ - انظر : أخيار أبي تمام ١٢ ، ١٤-١٥ ، ١٧-٢٨ ، ٣٧-٣٨ ، ٥٣ .
- ٩ - المقامات ٤ .
- ١٠ - المصدر نفسه ٤ .
- ١١ - المصدر نفسه ٥ .
- ١٢ - المصدر نفسه ٦ . والبيتان اللذان تمثل بهما الحريري لعدي بن الرقاع العاملي . انظر : شرح المقامات
الحريرية ١٤/٢ .
- ١٣ - شرح المقامات الحريرية ١٥/١ .
- ١٤ - المقامات ٤٠٦ وانظر أيضاً : المقامة لشوقي ضيف ٥٣-٥٤ .
- ١٥ - المقامات ٣٩-٤٠ .



- ١٦ - المصدر نفسه ٤٠-٤١ .
- ١٧ - المصدر نفسه ٤١ .
- ١٨ - المصدر نفسه ٤٢-٤٣ .
- ١٩ - المصدر نفسه ٤٣-٤٤ .
- ٢٠ - المصدر نفسه ٤٥ .
- ٢١ - المصدر نفسه ٤٧ .
- ٢٢ - انظر مثلاً : عيار الشعر ٢٢-٢٣ . الوساطة ٥٢ ، ١٨٣-١٨٥ ، ٢١٤-٢١٥ . العملة ٩٢/١ .
وانظر أيضاً : المقامة لشوقي ضيف ٦٥ .
- ٢٣ - انظر : الموشح ٤٧٨ . عيار الشعر ٩١ . أخبار أبي تمام ٥٣ الوساطة ١٨٣-١٨٦ ، ١٨٨ . الموازنة
٥٥/١-٥٦ ، ٣١١-٣١٢ العملة ٢٨٠/٢-٢٨١ .
- ٢٤ - المقامات ١٦٨ .
- ٢٥ - المصدر نفسه ١٦٨-١٦٩ .
- ٢٦ - المصدر نفسه ١٦٩ .
- ٢٧ - المصدر نفسه ١٧٠ .
- ٢٨ - المصدر نفسه ١٧٠-١٧٣ .
- ٢٩ - شرح المقامات الحريية ٣٦٣/١-٣٦٥ . الموشح ٣٠ . العملة ٢٠٢/١-٢٠٣ .
- ٣٠ - الموازنة ٥٧/١ .
- ٣١ - المقامات ١٧١ .
- ٣٢ - المصدر نفسه ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ .
- ٣٣ - انظر عن المصطلحات التالية ما يلي :
الاستلحاق : حلية المحاضرة ٥٨/٢-٦٠ . العملة ٢٨٢/٢-٢٨٣ .
الانتحال : حلية المحاضرة ٣٠/٢-٣٣ . العملة ٢٨٢/٢-٢٨٣ .
السرق : كتاب الصناعتين ٢٠٣ . الوساطة ١٨٣ .
السلخ : الشعر والشعراء ٧٣/١ . كتاب الصناعتين ٢٠٣ . العملة ٢٨١/٢ . قراضة الذهب
١٣٨ مشكلة السرقات ٨٨ .
النسخ : العملة ٢٨٢/٢ . مشكلة السرقات ٨٨ .
الإغارة : حلية المحاضرة ٣٩/٢ . الوساطة ١٨٣ .
الإصلاات : قراضة الذهب ٣٠ .



- ٣٤ - المقامات ٤٥ .
- ٣٥ - المصدر نفسه ١٧١ .
- ٣٦ - المصدر نفسه ١٦ .
- ٣٧ - المصدر نفسه ١٦ . وقد ورد البيت في ديوان البحري على هذا النحو :
كأنما يضحك عن لؤلؤ . . . منظم أو برد أو أقحاح .
انظر : الديوان ٤٣٥/١ .
- ٣٨ - المصدر نفسه ١٧ .
- ٣٩ - المصدر نفسه ١٨-١٩ . والبيت الذي طُلب من السروجي أن ينظم على منواله للوأواء الدمشقي .
وهو من الأبيات التي أثنى النقاد على جودتها .
انظر عنه مثلاً : كتاب الصناعتين ٢٠٧ . العمدة ٢٩٤/١ شرح المقامات الحريية ٤٤/١ .
- ٤٠ - انظر مثلاً : كتاب التشبيهات ١٠٦ . الموازنة ١٠٦/٢ . العمدة ٢٩١/١ .
- ٤١ - شرح مقامات بديع الزمان ٨٦-٨٨ .
- ٤٢ - المقامات ٢٢ .
- ٤٣ - المصدر نفسه ٢٣-٢٤ .
- ٤٤ - المصدر نفسه ١٦١-١٦٢ .
- ٤٥ - المصدر نفسه ١٦٢-١٦٣ .
- ٤٦ - المصدر نفسه ٣٥٤-٣٥٦ .
- ٤٧ - المصدر نفسه ٣٥٦ .
- ٤٨ - المصدر نفسه ٣٥٦-٣٥٨ .
- ٤٩ - انظر المصدر نفسه ٢٣ ، ٢٤ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ٣٥٣-٣٥٤ .
- ٥٠ - من هذه النماذج ما أورده الجاحظ من أن غيلان بن خرشة العنبي مرَّ « مع عبد الله بن عامر علي نهر أم عبد الله ، الذي يشق البصرة ، فقال عبد الله : ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر ! فقال غيلان : أجل والله أيها الأمير ، يعلم القوم فيه صبيانهم السباحة ، ويكون لسقياهم ومسيل مياههم ، وتأتيهم فيه ميرتهم . قال ثم مر غيلان يسائر زياداً على ذلك النهر ، وقد كان عادي ابن عامر ، فقال زياد : ما أضر هذا النهر بأهل هذا المصر ! قال غيلان : أجل والله أيها الأمير ، تنز منه دورهم ، وتغرق فيه صبيانهم ، ومن أجله يكثر بعوضهم » انظر البيان والتبيين ٣٩٤/١-٣٩٥ ، وانظر كذلك ما قاله عمرو بن الأهتم عن الزبرقان بن بدر في البيان والتبيين ٥٣/١ وشرح المقامات الحريية ٦١/١ .

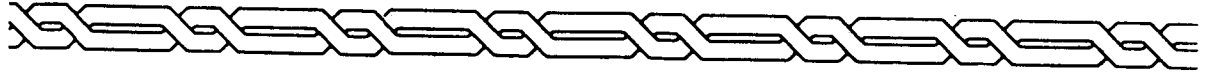
- ٥١ - نقد الشعر ١٨-٢٢ .
٥٢ - انظر مثلاً : ديوان ابن زيدون ٢٦٢ . هذا ومن بين الأدباء الذين اشتكوا من جناية حرفة الأدب عليهم . أبو اسحاق الصائى حيث يقول :
« قد كنت أعجب من مالي وكثرته . . وكيف تغفل عنه حرفة الأدب
حتى انثنت وهى كالغضبي تلاحظني . . شراً فلم تبق لي شيئاً من النشب
فاستيقنت أنها كانت على غلط . . فاستدركته وأفضت بي إلى الحرب
الضب والنون لا يرجى التقاؤهما . . وليس يرجى التقاء اللب والذهب »
انظر : يتيمة الدهر ٢/٢٩٢ .

- ٥٣ - المقامات ٦٢ .
٥٤ - المصدر نفسه ٦٣-٦٦ .
٥٥ - المصدر نفسه ٦٧ .
٥٦ - المصدر نفسه ٣٥٩-٣٦٠ .
٥٧ - المصدر نفسه ٣٦٠-٣٦٢ .
٥٨ - المصدر نفسه ١٧١ .
٥٩ - المصدر نفسه ٣٦٢ .
٦٠ - المصدر نفسه ١٧ .
٦١ - المصدر نفسه ١٦ .



مصادر البحث ومراجعته

- ابن أبي عون ، إبراهيم بن محمد ، كتاب التشبيهات ، تحقيق ، محمد عبد العيد خان لندن ، ١٩٥٠ م .
- ابن رشيق القيرواني ، أبو علي الحسن ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، ١٩٧٢ م .
- قراضة الذهب في نقد أشعار العرب - تحقيق - الشاذلي بو يحيى ، تونس ، ١٩٧٢ م .
- ابن زيدون ، أبو الوليد أحمد بن عبد الله ، ديوان ابن زيدون (معه رسائله وأخباره) ، تحقيق ، محمد سيد كيلاني ، القاهرة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .
- ابن سنان الخفاجي ، أبو محمد عبد الله بن محمد ، سر الفصاحة ، شرح وتصحيح ، عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
- ابن طباطبا العلوي ، محمد بن أحمد ، عيار الشعر ، تحقيق ، د: محمد زغلول سلام الإسكندرية ١٩٨٠ م .
- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، الشعر والشعراء ، تحقيق ، أحمد محمد شاكر ، القاهرة ١٩٦٦-١٩٦٧ م .
- الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، كتاب فحولة الشعراء ، تحقيق ش ، توري ، (قدم لها صلاح الدين المنجد) بيروت ١٩٧١ م .
- الآمدي ، أبو القاسم الحسن بن بشر ، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري ، تحقيق ، السيد أحمد صقر ، القاهرة ١٩٧٢-١٩٧٣ م .
- البحثري ، أبو عبادة الوليد بن عبيد ، ديوان البحثري ، تحقيق ، حسن كامل الصيرفي ، القاهرة (١٩٧٧ م ؟) .
- الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .
- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٧٥ م .
- الحاتمي ، أبو علي محمد بن الحسن ، حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، تحقيق د . جعفر الكتاني ، بغداد ١٩٧٩ م .
- الحريري ، أبو محمد القاسم بن علي ، المقامات الأدبية ، القاهرة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م .
- الشريشي ، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن ، شرح المقامات الحريرية ، القاهرة ١٣٠٠ هـ .



الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى ، أخبار أبي تمام ، تحقيق ، خليل عساكر ، ومحمد عبده عزام ، ونظير الإسلام الهندي ، بيروت ، بلا تاريخ .

ضيف شوقي ، المقامة ، سلسلة (فنون الأدب العربي ، الفن القصصي) القاهرة ١٩٧٦ م .

عبد الحميد ، محمد محي الدين ، شرح مقامات بديع الزمان الهمداني ، القاهرة ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .

العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله ، كتاب الصناعتين ، تحقيق ، علي البيجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة (١٩٧١ م ؟) .

القاضي الجرجاني ، أبو الحسن علي بن عبد العزيز ، الوساطة بين المتبني وخصومه ، تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البيجاوي ، القاهرة (١٩٦٦ م ؟) .

قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق ، كما مصطفى ، القاهرة ١٩٦٣ م .

المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد ، الكامل ، معارضة وتعليق . محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، بلا تاريخ .

المرزباني ، أبو عبيد الله محمد بن عمران ، الموشح : مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر . تحقيق ، علي محمد البجاوي ، القاهرة ١٩٦٥ م .

هدارة ، محمد مصطفى . مشكلة السرقات في النقد العربي . القاهرة ١٩٥٨ م .

